قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (علم السرد) السنة أولى ماستر، تخصص:نقد حديث ومعاصر

إعداد الدكتورة:دلال فاضل

المحاضرة رقم: 08

يوم: 2020/04/20

الأفواج: 01

عنوان المحاضرة: السرد والسينما

الهدف من المحاضرة:

-تعرف الطالب على التقاطعات والاختلافات بين حقلي السرد والسينما.

-استثمار الطالب مقولات التقاطع في الكشف عن استفادة الحقلين من بعضهما على صعيد الممارسة النقدية.

المحاور:

تمهيد

-بين السرد الروائي والسرد السينمائي

-آليات تحويل النص السردي إلى فيلم سينمائي

تمهيد:

دون شك أن بين السرد والسينما تقاطعات جلية،تبلورت منذ ظهور السينما كفعل إبداعي وفن أدائي سنة 1895حيث اخترع الإخوة لويس لوميير وأوجست جهاز عرض والتقاط صور سينمائية من جهة،و انتعاش النقد السينمائي وطرح نظريات فلسفية تؤطر السينما من جهة أخرى.فالسينما كفن صنف وفقا لتراتبيته في الدرجة السابعة(الفن السابع).له خصوصياته النوعية، يعمل على تصوير الحياة على جميع الأصعدة.فهي ا تفكر عبر الصورة المتحركة بمفهوم جيل دولوز،أو هي الأبكم العظيم بمفهوم تولستوي.

بهذا المعنى فماهية السينما كما أوردها الباحث سعيد عموري في دراسته الموسومة بـ "من النص السردي إلى الفيلم السينمائي قراءة في اشتغال المصطلحات" أنها "تركيب لاتجاهين سرديين الأول صوري و الثاني كلمي." فعلى صعيد السينما تتحول صيغة السرد من الكلمة إلى الصورة، من المكتوب إلى البصري، حيث إنها تتأسس على العرض البصري،مرتهنة بالصورة لتحقيق الفعل التواصلي، هذه الأخيرة التي تعد مكونا أساسيا في الفعل السينمائي "يذيب الحدود النوعية الفاصلة بين جميع المكونات والفاعلين في تحقيق الصورة السينمائية،مما يفتحها على التعدد في عناصر التشكيل ومستويات البناء من جهة،وعلى تعدد بنياتها الدالة كما يبنيها المتلقي(المتفرج) من جهة ثانية" .وهذا ما أكده الناقد المغربي عبد الرحمن التمارة في كتابه "نقد النقد بين التصور المنهجي والإنجاز النصي". وعلى هذا الأساس فقيمة الصورة السينمائية متأتية من فعل الانتاج بمكوناته التقنية وفعل المتلقي.

هذا عن السينما باختصار، أما عن الأجناس الأدبية الأكثر تقاطعا مع السينما، والتي ترتهن بعنصر السرد بوصفه"النشاط السردي الذي يضطلع به الراوي"أثناء نقله الحكاية و صياغته الخطاب كما جاء في معجم السرديات ،أو ما يحدده جيرار جنيت بأنه فعل السرد.و أقصد بذلك الرواية كجنس أدبي هجين،متعدد تقنيات الكتابة،متباين الرؤى للعالم، منفتح على أجناس وفنون عدة،يتميز بالحوارية كما يتصوره ميخائيل باختين وبالدينامية كما

يتصوره بيار زيما. فتاريخ الرواية كما أورده معجم السرديات لمحمد القاضي وآخرون بأنه"تاريخ القطيعة والتحولات". أي إنها تتطور باستمرار،بدءا بالرواية التاريخية وصولا إلى الرواية الواقعية السحرية،مرورا بالرواية الواقعية، الرواية النفسية، رواية تيار الوعي، الرواية الفانتاستيكية، الرواية السوريالية والرواية الجديدة.

أكدت جل الدراسات التي تندرج ضمن النقد الروائي والنقد السينمائي بأن كلا من السينما والرواية قد استعارا من بعضهما البعض تقنيات عدة لاستثمارها في تشكيل عالمهما.

بين السرد الروائي والسرد السينمائي:

يشير الناقد الجزائري السعيد بوطاجين في كتابه"علامات سردية" إلى الارهاصات الأولى للعلاقة بين مجالي السينما والرواية قائلا: "يمكن التأريخ لظهور إشكالية العلاقة المتذبذبة مابين الكلمة والصورة من منظور النقاد، إلى مطلع الثلاثينيات من القرن الماضي، وتحديدا مع بداية السينما الناطقة التي اعتبرت آنذاك تمردا على النص والمسرح وتقاليد الفيلم الصامت رغم أنه وظف بدوره بعض ما كان من الحقل السردي،...–فتاريخ السينما– رغم ما يبدو عليه من استقلالية، ظل متكئا في كل نشاطاته على المنجز السردي. كما أن أغلب الأفلام التي اشتهرت في سينما هوليود كانت تابعة للأدب بشكل ما. لقد اعتمدت على سرد مارغريت ميتشل وجون شتاينيك، وتينيسي وليامس، وغيرهم من الروائيين والمسرحيين الذين تم الاتكاء عليهم في الأفلام السينمائية على تفاوتها"يؤكد هذا القول على أن السينما تمتاح من النص السردي بحيث استفادت من "القصة والرواية والمسرحية،... بشكل كبير، ومن ذلك ما تعلق بالمروي، وبمختلف التقنيات والمكونات السردية التي انتقلت إلى الشاشة بشكل إملائي، أو بتحويلات أصبحت لاحقا موضوعا من الموضوعات الخلافية بالنظر إلى ما كان يطرأ على النص الأصلي من حذف وإضافة وهما عنصران ارتبطا بطبيعة الكتابة الإخراجية أو بالاقتباس الذي سيغدو بدوره إحدى الإشكاليات المعقدة. ومما استفادت منه السينما في أفلامها: الشخصيات، الحكايات، القصائد، الثقافة، الحوار، المدارس الأدبية. في حين امتصت الآداب من السينما عدة تقنيات في العقود الأخيرة، ومنها التوازي، التركيب،

الاقتصاد، طريقة التقطيع، التدرجات، وغيرها من التقنيات التي ابتكرتها الشاشة في وقت متأخر، مقارنة بابتكارات الأدب التي ركزت على جوانب أخرى"

وفي المقابل فإن لكل من النص الروائي والنص السينمائي خصائص نوعية رغم تقاطعهما في نقاط،وهذا ما أكده الباحث نور الدين محقق في دراستيه،"ذلك أن السرد الروائي باعتماده على اللغة المكتوبة وحدها،يمكنه أن يشخص الحياة النفسية للشخصيات الروائية تشخيصا داخليا عميقا،معتمدا في ذلك على تقنية المونولوغ، في حين السرد السينمائي لا يستطيع فعل ذلك،وإنما يكتفي بالقبض على الصورة، وهي تتشكل خارجيا من خلال تعبيرات الشخصيات الإشارية التي تمنح لملامحهم؛ وهو أيضا ما لا يستطيع السرد الروائي أن يقوم به مهما اعتمد في لعبة تتابعه على التقاطع المستمر بينه وبين الوصف، هذا الوصف الذي ينجح أكثر في تحويل الواقعي،المادي إلى متخيل،أكثر مما تستطيعه عين الكاميرا التي تنجذب نحو نوع من المحاكاة أكثر حرفية"

ويرى الناقد الموريتاني محمد سالم محمد الأمين الطلبة في كتابه"مستويات اللغة في السرد الروائي العربي المعاصر" " أن اللغة السينمائية في السرد قد أثبتت"أنها النظام العلامي السيميوطيقي الأقدر على موازاة الرواية في قدرتها على الاستحواذ على جميع الخطابات،فمن خلال هذه تم التعبير عن مسائل كان يستحيل من المنظور الكلاسيكي إدراكها كتابيا وذلك من خلال الومضات والاستباقات والاسترجاعات والإمضاءات اللغوية والتشخيص من جميع الزوايا والجهات وأيضا بفضل الألوان وتداخل الأصوات والفنون".

هذا عن اللغة السينمائية، أما عن الزمن السينمائي فقد أشار الباحث خليل برومي في دراسته"آليات السينما في رواية قناديل ملك الخليل لإبراهيم نصر الله" إلى أن الزمن "كان في بدايته هو الزمن الدياكروني الذي يحاول التقاط الزمن الواقعي للتسلسل الحدثي للقصة؛لكنه سرعان ما تخلى عن ذلك عن طريق اللعب من خلال المونتاج المولد للحركة الصورية المشكلة له خالقا بذلك إيقاعا خاصا به،والذي ليس هو.بالتالي هو إيقاع الحركة وحدها،وإنما إيقاع لصور الحركة.فالمونتاج يوحد وينظم السيرورة الزمنية عن طريق تقديم اللقطات

السينمائية وفق ما تحمله من دلالة، تجعل الواحدة منها تلوى الأخرى، أو عن طريق التلاعيب في عملية الترتيب"

آليات تحويل النص السردي إلى فيلم سينمائي:

أثار هذه المسألة من بين النقاد المهتمين بحقلي السرد والسينما الناقد المغربي عبد اللطيف محفوظ في دراسته الموسومة "بعض آليات تحويل النص الروائي إلى شريط سينمائي" مؤكدا بأن تحويل العمل الروائي إلى فيلم سينمائي مرتهن بعنصر المواءمة، ويقصد بها "التوافق الممكن بين شكل المادة الدلالية وشكل تمثيلها من قبل النص–المصدر، وبين شكل المادة الدلالية وشكل تمثيلها من قبل النص الهدف. ومعنى ذلك أن المواءمة تتجاوز مستوى الأجناس وقيودها لترسو عند علاقة النص بالعمل" .يرمي الناقد من وراء هذا القول إلى أنه لا يمكن أن يتم التحويل إلا بتوفر عنصر المواءمة، وفي هذا الإطار يشير إلى أن" العديد من النصوص الروائية لا يمكن أن تحول إلى أشرطة سينمائية نظرا لعدم التحقق المناسب لشرط المواءمة الذي لا يمكن أن يتحقق بالتوافق النسبي الدلالي والشكلي في العمليتين"

يرى الناقد عبد اللطيف محفوظ أن تحويل العمل الروائي إلى شريط سينمائي يتم وفق آليتين اثنتين وهما الاختزال والترجمة المرتبطتين بعنصر المواءمة كشرط للتحويل؛ ويقصد بالاختزال اختزال النص الروائي في الذهن قبل تحويله إلى شريط سينمائي، أما الترجمة فيقصد بها ترجمة ذلك الاختزال لما يتلاءم وخصوصياته الجديدة مستثمرا تقنياته الخاصة، حيث "إن التفكير في الممثل–الفنان الأنسب لتأويل مسار الشخصية الروائية هو من صميم تفعيل آليات الاختزال بعد أن تكون قد عكست لكي تعيد من جديد تجسيد الدليل الفكري،كما أن ظهور هذا الممثل الفنان هو ترجمة للشخصية وكلاهما هو ترجمة للمكتوب المنسوب إليها،أما كل ما يتصل من لباس و أشياء،...فهو ترجمة للأوصاف التي خصت بها"

هناك مسألة أخرى شديدة الأهمية أثارها الناقد عبد اللطيف محفوظ مؤداها ليس كل النصوص الروائية قابلة للتحويل"فالمتعذر تحويله من صيغة السرد إلى صيغة العرض فمتعدد، منه ما يتصل بالحكاية ذاتها، ومنه ما يتصل بشكل تظهيرها، أما ما يتصل بالحكاية في ذاتها فيتعلق بالروايات التي تعتمد التبئير الداخلي المتعدد، والتي يكون فيها موضوع القيمة المبحوث عنه ليس معروفا من قبل كل ذوات التبئير،...فالإمكانية الوحيدة لتحويل مثل هذه النصوص هي استنباط فكرتها ثم اعتمادها"

وبهذا فثمة تقاطعات بين حقلي السرد والسينما رغم استقلاليتهما،حيث يستعير الحقل الواحد من الآخر بعض التقنيات لتشكيل عالمهما الخاص.ويمكن أن نذكر على سبيل المثال بعض الأعمال الروائية التي حولت إلى أشرطة سينمائية،رواية "ريح الجنوب "لعبد الحميد بن هدوقة وبعض أعمال نجيب محفوظ كـ "الطريق"، "اللص والكلاب"، "قصر الشوق"،"بين القصين"... إضافة إلى رواية "شرف" لصنع الله إبراهيم كعينات عن المنجز العربي.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في المحاضرة:

-سعيد بوطاجين:علامات سردية.

-عبد الرحمن التمارة:نقد النقد بين التصور النهجي والإنجاز النصي.

-محمد سالم محمد الأمين الطلبة:مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر.

مقالات:

-عبد اللطيف محفوظ: آليات تحويل النص الروائي إلى شريط سينمائي.

-نور الدين محقق: تقنية الكتابة بين الرواية والسينما.

خليل برومي: آليات السينما في رواية قناديل ملك الخليل لإبراهيم نصر الله.